تداولية الأمثال العربية "الجمهرة" لأبي هلال العسكري نموذجاً

The Pragmatics of Arabic Proverbs: "Al-Jamhara" by Abu Hilal Al-Askari as a model

د/ سليمة محفوظي

salima MAHFOUDI

جامعة محمد الشريف مساعديّة – سوق أهراس

s.mahfoudi@univ-soukahras.dz

تاريخ الإرسال: 2023/02/13 تاريخ القبول: 2024/01/31

الملخص:

العسكري (ت395-1005هـ) ورَكَزَت الدّراسة على أهمّ المفاهيم والقواعد التي جدّت في الدّرس التداولي الغربيّ مثل: مفهوم الاستعمال اللّغويّ، الفعل الكلامي، والسّياق، مبدأ التّعاون الكلامي، والقصد. كما تعرض البحث لبيان مفهوم المثل ومنزلته الأدبيّة وأهميّته في الحياة الاجتماعيّة العربيّة، وقوته الإقناعيّة. وبيّنت الدّراسة أن الأمثال العربيّة تحمل شحنات ومبادئ تداولية ممّا يجعلها تتقاطع وبشكل واضح مع أهمّ النتائج التي استندت عليها الأبحاث الغربيّة المعاصرة
كلمات مفتاحية: مثل؛ تداول؛ فعل كلامي؛ سياق؛ قصد؛ إقناع.

Abstract:

This research aims at clarifying some features of Pragmatic editation in proverb literature in the book "Jamharat Al'Amthal" composed by "AbuHilal Al-Askary" This research focused on the most important concept and foundation developed in the western Pragmatic study such as: the concept of linguistic usage, speech act, context, principle of Speech cooperation and intention.

This research also studied the clarification of proverb concept and its literary category and position, and its importance as it was clarified by Arabic culture and heritage. This research proved that Abu Hilal Al-Askary's thought and study of proverbs contain indication and features which give a firm consolidation to numerous pragmatic concepts and rules in the Western study.

Keywords: Proverbs Proverb, deliberation, speech act, context, intent, persuasion.

مقدمة:

يوظف النّاس المثل على اختلاف طبقاتهم للتّعبير على الموقف الرّاهن، أو للحض على القيام بفعل ما، أو لمنعهم من إتيان فعل آخر، ذلك أن المثل يمثّل تجارب وخبرات الشّعوب عبر الأزمنة. والعرب من أكثر وأقدم الشّعوب التي وظفت الأمثال للتّعبير عن واقعهم السّياسي والاجتماعي والاقتصادي والنّفسي. ومن هنا اكتسب المثل أهميّة كبرى في حياة الإنسان العربيّ.

وبما أن الأمثال في التراث العربي تُمثل نوعاً من الخطاب الأدبي الحجاجي له خصائصه البنيوية والتداولية، لذلك يمكن تحليلها تداولياً في ضوء المبادئ والقواعد التداولية التي جَدَّتْ في الدرس اللساني بفضل جهود فريق من علماء اللُّغة وفلاسفتها كأوستين (Austin)، وسيرل، (Seral) غرايس (Gariss) وغيرهم.

ويسعى هذا المقال إلى الكشف عن الفعل الكلامي الذي يتضمنه المثل والاستلزام الحواري، بالإضافة إلى السياق الذي ورد فيه، كما لم نغفل القصد الذي اشتغل عليه. كما نحاول إبراز دور علماء العرب في العناية بالصياغة الأدبية للمثل وإجلاء بعض قواعد ومبادئ الدرس التداولي بغية إعادة قراءة الموروث العربي بما توفّره الدراسات المعاصرة من آليات إجرائية متنوّعة.

ومن خلال تصفح المدونة التراثية العربية نلمس عناية فائقة بصياغة المثل باعتباره من الأجناس الأدبية التي أثبتت حضورها وفعاليتها في الحياة عامّة. وتأسيساً على ما سبق تسعى هذه الورقة البحثية الوقوف على أهمّ الأصول التداولية التي اشتمل عليها المثل في التراث العربي من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية: كيف يبدو مبدأ التعاون الكلامي في المثل؟ وما مدى تحقق مفهوم الفعل الكلامي في المثل؟ وهل تعتمد الأمثال بوصفها كلاماً على القصد؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا العودة إلى إحدى مدونات الأمثال العربية وهو كتاب "جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري؛ لدراسة وتحليل بعض الأمثال في ضوء المقاربة التداولية وما انبثق عنها من قواعد ومبادئ.

1- مفهوم المثل

1-1- في اللُّغة: ورد في معجم لسان العرب لابن منظور معنى كلمة "مثل" على النحو

التالي كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى. قال ابن بري الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين. لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحوه كنحوه وفقهه كقفهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة" (1).

وقد أفرد جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها" باباً حول الأمثال، وهذا يدلّ على مدى اقتناع الإنسان العربي بأهمية وقدرة المثل في تقريب وتجسيد الصورة لدى المتلقي، حيث وضع السيوطي مجموعة من التعريفات منها: "الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح." وأيضاً "المثل ما ترضاه العامّة والخاصّة في لفظه ومعناه وهو أبلغ من الحكمة...." وأيضاً "المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلّة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول الأمثال لا تغير، بل تجري كما جاءت" (2).

كما انتبه "دارسو النصّ القرآني والبلاغيون العرب إلى أهميّة المثل في إحداث الإقناع. وجاء في البرهان في وجوه البيان: "وأما الأمثال فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزلوا يضربون

ويبينون للناس تصرّف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلباً، وأقرب مذهباً⁽³⁾، ولذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43] وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: 71].
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

والمثل عنصر أساسي في حياة العرب وتواصلهم اليومي، لأنه يربطهم بمعاني الحياة، فيستدلون بها للحكم على الحوادث والوقائع، باعتبارها تتضمن خبرات الشعوب وخالصة تجاربها الحياتية

1-2- اصطلاحاً:

بين الراغب الأصفهاني (502هـ) معنى المثل بقوله والمثل "عبارة عن لغيره في معنى من المعاني، أي معنى كان، وهو أعمُّ الألفاظ الموضوعية وذلك أنّ النَّد يُقال فيما يُشارك في الجوهر فقط، والشَّبه يُقال فيما يُشارك في الكيفيّة فقط، والمساوي فيما يُشارك في الكميّة فقط، والشكل فيما يُشارك في القدر والمساحة فقط، والمثل عام في جميع ذلك"⁽⁴⁾.
ويعرّف أبو هلال العسكري المثل بقوله: أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتي بلفظة تكون موضوعاً لمعنى آخر، إلا أنه ينبغي إذا أوردته عن المعنى الذي أراده"⁽⁵⁾.

أمّا السكاكي (1229هـ) فيرى أن المثل "إنّ التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير، سمي مثلاً"⁽⁶⁾.

وفي هذه التعريفات تظهر مسألة الإجماع والقبول عند الناس للمثل كأداة تعبيرية عن المعاني بصورة غير مباشرة.

ويرى ابن الأثير أن المثل هو: "القول الوجيز المرسل ليُعمل عليه"⁽⁷⁾، وفسره صاحب الفلك الدائر على المثل السائر بقوله: "المثل يُطلق على نوعين: أحدهما ما قُصد به المبالغة بلفظة أفعل... والثاني كلّ كلام وجيز منثور أو منظوم قيل في واقعة مخصوصة تضمّن معنى الحكمة، وقد تهياً بتضمينه ذلك لأن يُستشهد به في نظائر تلك الواقعة"⁽⁸⁾.

بينما يرى ابن قيم الجوزية أنه يرد: "لتقريب المراد، وتفهم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنّه قد يكون أقرب إلى تعقله، وفهمه، وضبطه، واستحضاره له باستحضار نظيره... وهي خاصّة العقل، ولبه، وثمرته"⁽⁹⁾.

2- أدبية الأمثال:

تعتبر الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق وبكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاثة خصال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه⁽¹⁰⁾.

ويقصد بأدبية الأمثال هنا بيان موقعها بين الأجناس الأدبية؛ لذلك نقول: إنّ الأمثال جنس من أجناس الأدب في حياة الشعوب، بل يرى ابن عبد ربه أنّها تفوق الشعر والخطابة في بعض الجوانب

الأدبية خاصّة في الشهرة والذّيع والانتشار فهي على حدّ قوله: "أنقى من الشّعْر، وأشرف من الخطابة لم يسرْ شيء سيرها، وعمّ عمومها، حتى قيل أسير من مثل" (11).
والأمثال ثروة أدبية غنيّة ونتاج فكريّ، يحمل في طياته مناحي متعدّدة من آداب الشّعوب ومعارفهم (12)، وهي أيضا موروث ثقافيّ حضاريّ في السّياق الزّمني للحضارة العربيّة الإسلاميّة على مرّ دهورها وتعاقب عصورها، وقد قيلت الأمثال وجرّت على الألسنة، وتداولها أبناء اللّغة فيما بينهم مشافهة وكتابة.

وعليه فالأمثال العربيّة موسوعة كبيرة نتعرف من خلالها على أحوال العرب في جاهليتهم وإسلامهم؛ فهي مرآة تعكس أحوال النّاس الاقتصاديّة والذهنيّة، وهي أيضا ميزان رقيهم وانحطاطهم.

3- وصف كتاب جمهرة الأمثال:

يعدّ كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (920-1005م) من الكتب التراثيّة التي جمعت أمثال العرب، وحاول المؤلف أن يأتي على جلها، وقد جمع بين دفتيه اثنين وسبعين وسبعمئة وألف مثلا تقريبا، رتبها صاحبه ترتيبا منهجيا ألفبائيا، وصنفها في أبواب، بحيث يفهرس الأمثال أوّلا مبتدئا بحرف الألف، ثم يأتي على تفسيرها وتوضيحها وفق سياقاتها ومضاربيها ومواردها وما جرى معها من حكايات وأشعار وهكذا يفعل في كلّ باب وحرف (13).

4- ملامح المنهج التداولي في كتاب جمهرة الأمثال:

قدّم العسكري لكتابه بمقدمة تضمنت آراءه ونظرته العلميّة التي أظهر من خلالها تنبّهه لمصطلح الاستعمال اللغوي (التداوليّة) فقال: "ولمّا عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها في أفواها من الألفاظ ليخفّ استعمالها ويسهل تداولها" (14)، ويرى فان ديك (van dyke) أن: "الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه" (15)، وترتبط خاصيّة الاستعمال للغة بالبعد الاجتماعي وتقوم بإفراغ اللّغة المتداولة من القوّة إلى الفعل" (16)، فالأمثال في تفكير العسكري هي أقوال خطابية تستلزم وجود متكلم وسامع ولها قوة التأثير في الثاني، وذلك ما يضيف عليها الصبغة التداوليّة الخطابيّة "أنّها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب" (17)، ويستمد حقيقة ذلك من استدلاله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ (الحج: 73)، وقوله عز وجل: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون﴾ (العنكبوت: 43)، وغير ذلك من الآيات القرآنيّة التي تبين منافع الأمثال وقيمتها في التّداول بين النّاس؛ فالأمثال كما يرى العسكري تحمل مقاصد وغايات وهي الوصول إلى تعديل السلوك بالعظة وأخذ العبرة و هو غاية التأثير بالقول، كما يرى المنظرون للتداولية وعلى وجه التخصيص عند أوستين وسيرل اللذين ركّزا على نظريّة الأفعال الكلاميّة ومتضمنات الفعل الكلامي الذي تحقّق قيمته بما يعرف بالقصد؛ أي قصد المتكلم والتأثير في مخاطبه (18).

ويرى العسكري أن الأمثال من أجلّ أنواع الكلام، ولها قيمة شرف التأثير في إصلاح الأفراد ويبدو ذلك في قوله: "فهي أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله" (19)، ويقول أيضا: "إنّما هو في الكلام كالنتصيل في العقد والتنوير في الروض" (20).

4-1- الإنشائية الكلامية للمثل:

لبيان مفهوم الإنشاء في الأمثال يتعين أن نبيّن ماذا يقصد بالإنشاء في النظرية التداولية وخصوصًا ما ارتبط بجهد فيلسوف اللغة أوستين الذي تحدث وفسّر حقيقة ذلك في كتابه كيف ننجز الأشياء بالكلمات⁽²¹⁾، حيث يوضح فكرة إنجاز الكثير من الأحداث والأشياء بالأقوال، كالتهذير والنصح والتوجيه والنهي والأمر، وغير ذلك ممّا يحدث من ممارسة نشاط ما بعد الكلام، مثل قولنا لأحدهم تقدّم خطوة إلى الأمام، فبمجرد تلفظنا بالقول سيكون لذلك القول أثر وهو التقدم للأمام خطوة، وقد نتلفظ بقولنا لطفل: لا ترم الحجارة في الطريق فإنّه حتما سيتأثر بالقول ويتوقف عن الرمي، فيكون بذلك قد أنجز حدثًا ظاهرًا.

ومن هنا يفرض السؤال التالي نفسه وبشدة: هل يمكن أن يندرج المثل تحت مفهوم الإنشاء؟ أيّ إنشاء أحداث كلامية كغيره من الأقوال؟

نستطيع القول مادامت الأمثال هي أقوال وردت للنصح أو التوجيه أو الأمر بشيء ما، أو النهي عن شيء ما، أو التهذير، فهي إنشائية؛ أيّ أنّها تتمتع بخاصية الإنشائية الكلامية، ويتأكد ذلك في أن كثيرا من الأمثال جرت في الاستعمال بصيغة الأمر أو النهي أو التهذير فضلا عن خروج بعضها إلى الإنشاء وإن كان في صيغة التقرير، أو الخبر، ويضاف إلى ذلك أن المثل بوصفه قولاً يجري في قالب لغويّ شامل لعناصر التكلّم اللغويّ فهو - بطبيعة الحال - يتضمن أقسام الفعل الكلامي وما ينطوي عليه من أفعال ضمنية بحسب ما أقره أوستين⁽²²⁾، ونذكر بأقسام الفعل الكلامي التي جاء بها أوستين الذي جعلها ثلاثة أقسام وهي⁽²³⁾:

- 1- فعل الكلام أو الفعل النطقي الصوتي: أيّ التلفظ بأصوات محسوسة يحدثها اللسان مصوغة في كلمات مركبة تركيباً سليماً بمقتضى قوانين النحو والدلالة.
- 2- قوة فعل الكلام، وهو قول في سياق محدد.
- 3- لازم فعل الكلام: وهو التأثير بالقول.

ويمكن التمثيل ببعض الأمثال من كتاب الجمهرة لبيان تحقق الإنشائية الكلامية في المثل

- 1- يقول المثل: (أضياء لي، أقدح لك)⁽²⁴⁾، قصد الحث على التعاون.
- 2- (ذكرتني الطعن وكنت ناسياً)⁽²⁵⁾، والقصد هو النصح والإرشاد.
- 3- (ألق دلوك في الدلاء)⁽²⁶⁾، قصد بالأمر التوجيه.
- 4- (أخر الدواء الكي)⁽²⁷⁾، قصد بالمثل هنا النصح.

والأمثال باعتبارها أفعال إنشائية منها ما ورد بالأمر والنهي صراحة، ومنها ما ظهر في صورة ضمنية أيّ فعلها غير ظاهر، وذلك يتفق مع التقسيم المقترح للأفعال الإنشائية منها الصريح ومنها الضمني⁽²⁸⁾.

4-2- خاصية القصد في الأمثال:

عدت القصدية من أهم المحاور التي تناولتها التداولية لأنها تعتبر من العوامل المساعدة على فهم الخطاب، ولارتباطها بالعملية التواصلية حيث أنّها تدرس الآليات التي توجه المتكلم عند إنتاج خطابه، و"تساعد المتلقي على معرفة القصد"⁽²⁹⁾.

ويرى العلماء المهتمون بالجانب التداولي في الخطاب أنه ومن أجل "تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم ومن هو المستمع وزمان ومكان إنتاج الخطاب"⁽³⁰⁾، فمعتقدات المتكلم وثقافته ومقاصده والمشارك العام الذي يتقاسمه مع مخاطبيه والظروف المحيطة بإنشاء الخطاب كل ذلك يساعد في فهم الخطاب وبيان القصد منه.

ويرى ابن خلدون أن المتكلم هو فاعل الكلام، وكلامه يتضمن قصده وذلك في قوله: "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"⁽³¹⁾.

ويكتسب المثل خاصية القصد بحكم أنه فعل كلامي أو قول يترتب عليه إنجاز شيء ما، كالنهي، أو المدح أو الذم، أو الوعيد، أو النصح، أو الدعاء فقولنا: (بالرفاء واليبين)⁽³²⁾، هو مثل سائر، القصد منه إنجاز فعل كلامي وهو (الدعاء)؛ فالمتلفظ به يقصد الدعاء، والمثل: (يَاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ)⁽³³⁾، قول يترتب عنه قصد إنجاز فعل كلامي هو (التحذير).

وقولنا (خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا)⁽³⁴⁾، يضرب لمن يغلب على حاله الإسراف أو التقدير في الإنفاق، يفهم من ذلك أنه يُنصح بالاعتدال وذلك القصد لا يظهر في البناء اللغوي للقول بل هو غاية وقصد المتكلم أن يأمر بالتوسط في الإنفاق.

ومما يُوصّل خاصية القصد في المثل عناية البلاغيين العرب بالأمثال لارتباطها ببلاغة الكلام فهي أقوال بليغة⁽³⁵⁾، فصار ذلك ركيزة من ركائز اهتمامهم ببلاغة الكلام فركزوا على دراسة الأحوال والمقاصد التي غايتها التأثير.

وفي هذا الصدد يؤكد طه عبد الرحمن على جوهرية القصد في الكلام وتأصله فيه وأنه سبب في وجوده يقول: "لا كلام إلا مع وجود القصد، والأصل في الكلام القصد"⁽³⁶⁾.

وبما أن المثل قول أو عبارة متلفظ بها من مخاطب إلى مخاطب في سياق محدد يعتمد على قصد المتكلم في إبلاغ ما يريد إبلاغه من رسالته فقد نقل الشهري عن صاحب المغني قوله: "إن القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه"⁽³⁷⁾.

يمكن القول أن المثل - باعتباره خطابا ومظهرا تواصليا - يخضع في دلالاته ومعناه التداولي إلى القصد لا إلى شكله وبنائه اللغوي ودلالاته المعجمية ومن أهم المقاصد التي تتضمنها الأمثال العربية هي: النصح، والإرشاد، والتحذير والإغراء، والمدح، والذم، والوعد والوعيد، والأمر، والنهي...

وقد ظهر ذلك في أغلب الأمثال التي دونها العسكري في جمهرة الأمثال حيث تنوعت مقاصدها وغاياتها عن نحو ما ذكر.

4-3- السياق في المثل:

كان للسياق بمفهومه التداولي حضور متميز في منهج كتاب الجمهرة، فقد حرص صاحبه على ذكر المثل متلازما مع سياقه ومقتضى حاله؛ فيذكر المثل بنصه ثم يردفه بالشرح والتأويل وبيان ملابسات حدوثه وإنجازه، وهو ما يعرف في المصطلح التراثي بـ: (مورد المثل) أي حالته التي قيل

فيها ابتداءً⁽³⁸⁾، ويدعو ذلك للقول: بأن الأمثال أقوال تنجز في ظروف وملابسات مكانية وزمانية، وهي في الحقيقة تجسيد لمفهوم سياق المثل.

وهذا ما تؤكدته التداولية فقد أقرّ أوستين أن ما نستعمله من ألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها ولغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي جرت فيه المحادثة الكلامية⁽³⁹⁾، وفي ذلك تأكيد لبعد الاستعمال اللغوي الذي تتحقق في ضوءه مقاصد المتكلمين وأهدافهم وغاياتهم.

ولسياق المثل عند العسكري أهميته في إيصال المعنى وتحقيق تواصل ناجح بين المتكلم والمستمع، وما ضربت الأمثال إلا للاستماع والتمثل بها والتأثير بها، فالخطاب اللغوي مهما كان نوعه لا يكون واضحا ولا مفهوما إلا في سياقه "ولا يتضح الكلام في جميع ذلك إلا بالتعرض لمقتضى الحال"⁽⁴⁰⁾، لذلك فإن فكرة تداولية المثل متضمنة في ارتباطه بالسياق من جهة وبالقصد من جهة ثانية، فالسياق المصاحب للمثل هو سياق تداولي بامتياز يتم على ضوءه تأويل الأمثال وتفسيرها في حيزها التواصلية، وهو الضامن لخاصية التعبير عما يراد إنجازه من مقاصد كالنصح أو التحذير أو التوجيه... الخ.

هذا وقد تنبّه أبو هلال العسكري إلى أهمية السياق ودوره في توضيح غايات المتكلمين ومقاصدهم وتحقيق الفائدة للمستمع وربطه بالمثل في أغلب الأمثال التي ذكرها في كتابه ويمكن التمثيل لذلك بالآتي: يقول المثل: (خُدْ مِنْ جَذَعِ مَا أُعْطَاكَ)⁽⁴¹⁾، يقول العسكري في بيان سياق المثل: يضرب المثل في اغتنام القليل من الرجل البخيل؛ وأصله؛ أي مضر به وسياقه، فيقول: أن مصدقا جاء ثعلبة رجلا من أهل اليمن فسامه أكثر مما يلزمه، فقال: ذاك جذع آخر فاذهب إليه يعطيك ما تسأل، فذهب إليه؛ فسَلَّ جذع سيفه فقتله به، فقال له أخوه ثعلبة خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلا. ومن الأمثال التي جرت في سياقها جاء في كتاب جمهرة الأمثال قول القائل: (لَا فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ)⁽⁴²⁾، ولذلك المثل سياقه وملابسات ظروفه التي ساعدت على إنجازه وإنتاجه. يبينها العسكري في كتابه:

"يضرب المثل للرجل الذي يحتقر لقلة نفعه، والعير الإبل تحمل التجارة، ويضيف قائلا: ويعني به ها هنا عير قريش التي خرج رسول الله لأخذها ووقعت وقعة بدر لأجلها، والنفير يعني به وقعة بدر وذلك أن كل من تخلف عن العير وعن النفير لبدر من أهل مكة كان مستصغرا حقيرا فيهم ثم جعل مثلا لكل من هذه صفته"⁽⁴³⁾، لهذا المثل قصة صاحبت إنتاجه متداولا كلما دعت المناسبة ذلك.

4-4- المثل ومبدأ التعاون الكلامي:

مع تنامي البحث في التحليل التداولي للخطاب، ظهر على الساحة البحثية جانب مهم في تحليل الأقوال بعيدا عن مقتضاها الدلالي، حيث برز ما يعرف بالاستلزام الحواري الذي ارتبط بفيلسوف اللغة بول غرايس (Paul Grice) والذي نظر له بجامعة هارفارد سنة 1986م، ونجم عن ذلك الجهد اعتبار مسألة الاستلزام الحواري من النظريات البارزة في التحليل التداولي، وتنطلق فكرة الاستلزام الحواري بحسب غرايس أن ما يقوم به المتكلمون من حوارات ينطوي على غايات ومقاصد قد تتطابق وقد تتجاوز ما يقولون، في أحيان أخرى، وقد تجري أقوالهم عكس ما يقصدون فاقضى ذلك

ظهور ما يعرف بمبدأ التعاون الكلامي بين المتكلم والسّامع أو بمعنى أدق بين المخاطب والمخاطب، ويندرج تحت هذا المبدأ قواعد فرعية وهي كالآتي⁽⁴⁴⁾:

أ- مبدأ الكم: أيّ اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقصان.

ب- مبدأ الكيف: أن يكون خطابك صائبا وحقيقيا له براهينه وأدلته.

ج- مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

د- مبدأ الطريقة: كن واضحا ومحددا فتجنب الغموض، وأوجز، ورتب كلامك.

والسؤال المطروح هنا، إلى أي حدّ يمكن تحقّق تلك المبادئ والقواعد التي أقرّها الدرس التّدائلي الحديث في الأمثال؟ يمكن القول أن الكثير من تلك القواعد والمبادئ لم تغفلها المدونة التراثية وبخاصّة البلاغية منها وذلك بتركيزهم على بعض المصطلحات، والمفاهيم التي تقترب في مدلولها ومعناها مع تلك المصطلحات الغربية، وتعدّ الأمثال والحكم هي الأقرب لتطبيق لتلك المبادئ في كمّها وكيفها ومناسباتها وطرق أدائها؛ فلو دققنا النظر في بناء جُلّ الأمثال التي ذكرها العسكري وغيره من جامعي الأمثال لوجدنا أن مبدأ الكم قد تحقّق فيها، ويتمثل ذلك في ما عرف في الدرس البلاغيّ بالإيجاز، ويُعرّف بأنّه: "جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإيضاح"⁽⁴⁵⁾، فلا أوجز من الأمثال في كلام العرب؛ لذلك يعدّ الإيجاز سمة من سماتها، وقد أكّد العسكري ذلك في قوله: "ومن عجائبها أنّها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب"⁽⁴⁶⁾، وبالإيجاز تحدّد كمية الكلام بين المتكلم والسّامع ويضبط التعبير في الحوار محكوما بالكميّة وهنا يكون القصد أحيانا متجاوزا القول (اللفظ القليل للمعنى الكثير) ويتحقّق مبدأ الكم في بناء الأمثال من عدد ألفاظها فبعض الأمثال تتركب من لفظين وبعضها من ثلاثة وقد يتجاوز ألفاظ المثل الثلاثة إلى الأربعة أو الخمسة ومن ذلك مثلا: (الْحَرْبُ عَشُومٌ)⁽⁴⁷⁾، (فَاها لِيفيك)⁽⁴⁸⁾، (أعطِ القوسَ باريها)⁽⁴⁹⁾.

أمّا من حيث الكيف فإنّ المثل يعدّ خطابا صائبا ويتضمّن البرهان والحجّة التي تحقّق له الصّدق. وبالنسبة لمبدأ المناسبة فالمثل ألصق الأقوال بالمناسبة، وهي مضربه وموضوع التمثيل به فكلّ مثل مناسبة تناسبه، ومتى جاءت المناسبة حضر المثل.

خاتمة:

الأمثال هي من أكثر فروع الثقافة ثراء، لأنّها تجسد التعبيرات الناتجة عن تجربة طويلة ويكون ملخصها العبرة والحكمة المكتسبة من التجربة، لذلك تتسم الأمثال بجزء من حياة ومعتقدات الأمة. كما تمثل الأمثال منهجا في تحقيق التّعاون بين المتخاطبين ويعود ذلك لتحقّق قواعد التّعاون الكلامي التي اقترحها الباحثون في الدرس التّدائليّ الحديث تحت مسمى (الاستلزام الحوارية، وما تمخضت عنه من مبادئ مثل مبدأ التعاون الكلامي، فالأمثال تحقّق فيها كثير من قواعد التعاون الكلامي مثل: الكم، والكيفية، والمناسبة، والطريقة. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج نذكر منها:

- يمكن أن تخضع الأمثال بوصفها جنسا أدبيا للدراسة والتحليل وفق آليات تحليل الخطاب والمبادئ التّدائلية.

- وظّف العسكري المنهج التّدائليّ في تفسير وتحليل الأمثال في كتابه جمهرة الأمثال.

- بينت الدراسة أن الأمثال أقوال صالحة لإنجاز أفعال كلامية مثل النصح والإرشاد والأمر والنهي، والمدح والذم والتحذير....
- تعتبر الأمثال تطبيقاً لمبدأ التعاون بين المتخاطبين وذلك من خلال تحقق قواعد مبدأ التعاون الكلامي التي اقترحها الباحثون في الدرس التداولي الحديث تحت مسمى (الاستلزام الحواري، وما ترتب عليه من مبادئ مثل مبدأ التعاون الكلامي بقواعده المعروفة).
- مصطلح القصد من المصطلحات المتأصلة في الدرس البلاغي العربي عموماً وفي الأمثال على وجه الخصوص بخاصيتها البلاغية.
- تحتوي مدونة الأمثال العربية على كثير من الملامح والإشارات التداولية تستحق البحث والدراسة وإن لم تظهر في شكل نظري فهي ميدان خصب من المنظور التطبيقي.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (860-940)، العقد الفريد، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ - 2005م، ج3.
- 2- أحمد بن علي الفلقشندي (1355-1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ - 1987م، ج1.
- 3- إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 28(5)، 2014م.
- 4- أماني داود، الأمثال العربية القديمة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2005م.
- 5- أميل يعقوب، موسوعة الأمثال العربية، دار الجيل الجديد، بيروت، ط1، 1995م، ج1.
- 6- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قينيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.
- 7- جلال الدين السيوطي (1445-1505م)، المزهر، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، 1418هـ - 1998م، ج1.
- 8- حسن المودن، دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، الحجاج مفهومه ومجالاته، "دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة" إشراف حافظ إسماعيلي العلوي، عالم الكتب اربد، الأردن، 2010م، ج .
- 9- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، بيروت، ط1، 2009م.
- 10- عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406هـ)، المقدمة، تح: سعيد عقيل، دار الجيل، القاهرة، ط1، 2005م.
- 11- ابن الرشيقي القيرواني (999-1064م)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ - 2001م.
- 12- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، 2011م.
- 13- عبد السلام عشير، عندما نتواصل تغير - مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012م.
- 14- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر سوريا، دمشق، ط1، 2008م.
- 15- ضياء الدين بن الأثير (1163-1239م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، 1419هـ - 1998م، ج1.
- 16- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1998م.
- 17- عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد (1190-1258م)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1404هـ - 1984م.

- 18- فان ديك، علم النص، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001م.
- 19- فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار اللادقية، سوريا، ط1، 2007م.
- 20- ابن القيم الجوزيه (1292-1350م)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط2، 1397هـ- 1977م، ج1.
- 21- عبد الله بن المقفع (106-142هـ)، الأدب الصغير، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978م.
- 22- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دار المأمون للتراث، دمشق، 1980م.
- 23- أبو عمرو الجاحظ (159-255هـ)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط7، 1998م، ج3.
- 24- محمد بن مكرم بن منظور (630هـ- 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط10، 2008م، ج8، مادة (مثل).
- 25- محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل الاجتماعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010م.
- 26- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، طرابلس ليبيا، ط1، 2003م.
- 27- أبو هلال العسكري (920-1005م)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م.
- 28- أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، دار طلاس، بيروت، ط1، دت.
- 29- يوسف بن أبي بكر السكّاكي (1160-1229هـ)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.

الهوامش:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، لسان العرب، مادة «مثل».
- 2- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ص486.
- 3- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، 2002، ص83.
- 4- الراغب الأصبهاني، المفردات، تحقيق محمد سعيد الكيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة، 1961، ص462.
- 5- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص612.
- 6- يوسف بن أبي بكر السكّاكي (1160-1229هـ)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، ص349.
- 7- ضياء الدين بن الأثير (1163-1239م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، (1419هـ- 1998م)، ج1، ص35.
- 8- عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد (1190-1258م)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1404هـ- 1984م، ص49.
- 9- ابن القيم الجوزيه (1292-1350م)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط2، 1397هـ- 1977م، ج1، ص239-240.
- 10- جلال الدين السيوطي (1445-1505م)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1998م، ج1، ص374.
- 11- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (860-940)، العقد الفريد، ج3، مرجع سابق، ص63.

- 12- ينظر: أماني داود، الأمثال العربية القديمة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2005، ص4.
- 13- ينظر: أبو هلال العسكري (920-1005م)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م، المقدمة ص2.
- 14- المصدر نفسه، المقدمة ص3.
- 15- فان ديك، علم النص، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001م، ص56.
- 16- ينظر: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل الاجتماعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010م، ص40.
- 17- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، مرجع سابق، المقدمة ص3.
- 18- إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 28 (5)، 2014، ص1208-1224.
- 19- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، مرجع سابق، ص3.
- 20- المصدر نفسه، ص3.
- 21- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.
- 22- المرجع نفسه، ص13.
- 23- ينظر: فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ط1، تر: صابر حباشة، دار الحوار اللادقية، سوريا، ط1، 2007م، ص59.
- 24- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، مرجع سابق، رقم المثل 28، ص31.
- 25- المصدر نفسه، رقم المثل 821، ص239.
- 26- المصدر نفسه، رقم المثل 822، ص240.
- 27- المصدر نفسه، رقم المثل 822، ص241.
- 28- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، بيروت، ط1، 2009م، ص54.
- 29- عبد السلام عشير، عندما نتواصل تغير-مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012م، ص49.
- 30- حسن المودن، دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، الحجاج مفهومه ومجالاته، "دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة" إشراف حافظ إسماعيلي العلوي، عالم الكتب اربد، الأردن، 2010، ج4، ص172.
- 31- عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406هـ)، المقدمة، تح: سعيد عقيل، دار الجيل، القاهرة، ط1، 2005، ص461.
- 32- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، رقم المثل 257، ص110.
- 33- المصدر نفسه، رقم المثل 258، ص111.
- 34- المصدر نفسه، رقم الحديث 298، ص120.
- 35- ينظر: أبو عمرو الجاحظ (159-255هـ)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط7، 1998م، ج3، ص55.
- 36- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1998م، ص103.
- 37- أميل يعقوب، موسوعة الأمثال العربية، دار الجيل الجديد، بيروت، ط1، 1995م، ج1، ص41-42.
- 38- المرجع نفسه، ص43.
- 39- نظرية أفعال الكلام، مصدر سابق، ص121.
- 40- يوسف بن أبي بكر السكّاكي (1160-1229هـ)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، ص255.
- 41- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، مرجع سابق، رقم المثل 705، ص220.
- 42- المصدر نفسه، رقم المثل 1961، ص502.

- 43- أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، دار طلاس بيروت، ط1، دبت، ص 104.
- 44- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، 2011، ص 294.
- 45- أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، مرجع سابق، ص 107.
- 46- المرجع نفسه، ص 108.
- 47- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، مرجع سابق، رقم المثل 538، ص 189.
- 48- المرجع نفسه، رقم المثل 1316، ص 352.
- 49- المرجع نفسه، رقم المثل 49، ص 91.